برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة السادسة عشرة

صديقي المستمع، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح السابع من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

تحدث الرسول بولس في القسم الأول من هذا الأصحاح عن الناموس أو الشريعة التي أعطاها الله للبشر قديما. وبيّن أن الناموس يسود على الإنسان مادام حيا. لكن بعد إيمانه في المسيح يتحرر من سلطانه. والسبب لأن الإنسان القديم المرتبط بالناموس يموت، ويصبح المؤمن إنسانا جديدا متحدا مع المسيح المقام من بين الأموات. وهكذا يستطيع أن يعمل مشيئة الله، ويسلك في طريق البر والصلاح. وأكد الرسول بولس أن الناموس مقدس، بالرغم من أنه يعرف الإنسان على الخطية، ويكشف مدى فسادها. وبرهن أن الخطية هي التي تمتلك كيان الإنسان وتخدعه وتدمر حياته، فالخطية خاطئة جدا.

إذا كانت الخطية تمتلك كيان الإنسان كما أوضح الرسول بولس، فهل هذا يعني أن هناك صراعا في داخله؟ أي صراعا بين الخير والشر؟ بالضبط تماما. ولهذا استأنف الرسول بولس كلامه في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع قائلا: "**فإننا نعلم أن الناموس روحي وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية.**" يوجد صراع أولا إذن بين ناموس الله الروحي ومتطلباته، وبين كيان الإنسان المستعبد للخطية. ونلاحظ هنا أن الرسول بولس يتحدث عن حقيقة واقعة، إذ قال فإننا نعلم.

وبرهن الرسول بولس عن حقيقة امتلاك الخطية للإنسان إذ تابع في العدد ١٥ قائلا:"**لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه إياه أفعل.**" وواضح أنه يوجد صراع أيضا في كيان الإنسان بينه وبين الخطية التي تستعبده. فهو يريد أن يفعل الصلاح، لكن يجد نفسه وبسبب الخطية التي تسيطر على جسده يفعل الشر، أي يفعل ما يبغضه. وعندما يفعل الإنسان ما يبغضه يعترف عمليا أن الناموس الذي أعطاه الله للبشر هو شيء صالح. والسبب لأن الناموس وضع لنا الأساس الأخلاقي الذي يجب أن نسلك على ضوئه.

ولهذا نجد الرسول بولس في العددين ١٦ و ١٧ يضيف قائلا: "**فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة في.**" لكن الإنسان لا يستطيع أن يعمل بما جاء في الناموس، لأن الخطية تستعبده وتقوده لكي يفعل ما لا يريد. أليس هذا أمرا محزنا يا أعزائي أن تؤول حالة الإنسان إلى هذه النتيجة المؤلمة؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وأكد الرسول بولس على هذه الحقيقة الهامة فكتب في العدد الثامن عشر قائلا: "**فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد.**" بالفعل هذه هي حقيقة كل إنسان. لأنه كما ذكر النبي داود قديما "**هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي.**" (مزمور ٥١:٥) فالخطية أو الدوافع الشريرة موجودة عند الطفل منذ ولادته، وهي التي تسيّر حياته. ولهذا ينشأ الصراع عند الإنسان بين الخطية التي تستعبده، وبين المفاهيم والقيم الأخلاقية الموجودة في ذهنه والتي يجدها في ناموس الله. لكنه عند التطبيق نراه يعجز عن السير بموجبها بالرغم من إرادته.

وتكون النتيجة كما قال الرسول بولس في العددين ١٩و٢٠: "**لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريد إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة في.**" أي أن الخطية هي التي تنتصر دائما في هذا الصراع الداخلي. وهذا يؤكد أن المعرفة لوحدها لا تكفي لكي تجعل الإنسان يسلك في طريق الصلاح. ولو أن معرفة الصواب تجعلنا نفعله، لانتهى الصراع بغلبة الخير. هذا صحيح، ونستطيع أن نضرب مثلا واقعيا على ذلك. فقد نعرف كل قوانين لعبة كرة السلة أو غيرها، لكن هذا لا يعني أننا نقدر أن نلعب. وهكذا فإن معرفتنا لأمر ما لا يعني البتة أننا نستطيع تطبيقه. يبدو واضحا إذن أن الإنسان بحاجة إلى قوة عظمى تستطيع أن تحرره من عبودية الخطية، وتساعده على السير في طريق البر والصلاح. بالضبط تماما، وهو ما سيخبرنا به الرسول بولس في الأعداد القادمة من هذا الأصحاح وفي الأصحاح التالي من رسالته.

يتابع الرسول بولس مؤكدا النتيجة التي وصل إليها، فيقول إبتداء من العدد الواحد والعشرين: "**إذا أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرى ناموسا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.**" أراد الرسول بولس القول أن هذا هو المبدأ السائد أو القانون العام الذي ينطبق على كل البشر. أننا نُسر في دواخلنا أو أذهاننا بناموس الله وبالقيم التي وضعها لنا، ولكننا نكتشف في أجسادنا قوة أخرى هي قوة الخطية التي تدفعنا لفعل الشر. لا بل إلى تحدي ناموس الله المعروف في أذهاننا ومحاربته. وهنا نرى أيضا عجز التصميم. فكم من مرة صممنا على عدم فعل الشر، أو ترك عادة قبيحة ما، لكننا فوجئنا أننا عاجزون بالكلية، وأن الخطية أقوى منا. وهذا يؤكد على ضعف الإرادة البشرية. ويبدو واضحا أن الرسول بولس شخّص لنا مرض الإنسان تشخيصا صحيحا. وأعلن في نفس الوقت عن فشل الإنسان في إيجاد العلاج الناجع أو الدواء المناسب لهذا المرض.

ولهذا نجد الرسول بولس يصرخ صرخة اليأس المشهورة في العدد الرابع والعشرين. إذ قال: "**ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت.**" أجل يا لشقاء الإنسان، ويا لتعاسته. من يستطيع أن ينقذه من جسد هذا الموت أي جسد الخطية.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لكن الرسول بولس أسرع في الإجابة على تساؤله إذ قال في العدد الخامس والعشرين: "**أشكر الله بيسوع المسيح ربنا.**" نعم إن الجواب والعلاج الصحيح لمشكلة الإنسان يكمن في المخلص يسوع المسيح. ولهذا شكر الرسول بولس الله لأنه هيأ الخلاص بواسطته. إذن إن الإيمان بالمخلص المسيح يحرر الإنسان من قيود الخطية. صحيح، وهذا يؤكد أن المخلص المسيح هو الشخص الوحيد القادر على منح البشر الغلبة والانتصار. لقد انتصر المسيح على الخطية بموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات. وهكذا صار مؤهلا لكي يحرر الإنسان من عبودية الخطية. فما علينا إلا أن نصمم على التوبة ونؤمن بالمخلص المسيح. وسنختبر عندها خلاص الله المجيد وقوته المحررة، لا بل نصبح من أولاد الله.

ويعود الرسول بولس في ختام هذا الأصحاح السابع ليؤكد قائلا: "**إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية.**" نعم هذه هي حقيقة الإنسان في كل زمان ومكان، فهو يحب ناموس الله في ذهنه، ويرغب السير بموجبه. لكنه عند التطبيق يجد نفسه عاجزا بالكلية ويسلك بحسب شهوات الجسد والخطية. إن هذا يؤكد لنا أن الأصحاح السابع يتحدث عن الإنسان في حالة العبودية للخطية، وليس عن حالة الإنسان بعد إيمانه بالمسيح المخلص واختباره لنعمة الخلاص، كما يظن البعض.

فهل ترغب يا صديقي أن تتحرر من قيود الخطية؟ أولا تريد أن تسلك بحسب ناموس الله والقيم الفضلى؟ لقد أعد لك الله الخلاص، وهيأ لك طريق الانتصار بواسطة المخلص المسيح، فهل تُقبل إليه الآن؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service